ذهبت الى الملك حسين حاملا له رسالة من جمال عبد الناصر ، يطلب منه فيها ان يتدخل لتصفية الخلافات بين مصر وايران .

واقترحت على الملك حسين ، صديق الشاه الحميم ، أن يجمع بين الشاه وبيني في لقاء يتم في مقر اقامة الملك حسين ، من اجل انهاء تلك الخلافات ، وبدء صفحة جديدة في العلاقات بين القاهرة وطهران .

ورحب الملك حسين ترحيبا شديدا بطلب جمال عبد الناصر . ووعدني بسرعة ترتيب هذا اللقاء المطلوب مع شاه ايران .

عرفت هؤلاء

بقلم : انور السادات

شاه إيران

كانت

نشأتي في اعماق الريف . ولدت هناك في سنة ١٩١٨ . ولدت في الأرض الطيبة ، وارتبطت بها . وكانت امنية عمري في هذا الوقت هو ان اكبر ، والتحق بالكلية الحربية . وأتخرج ضابطا في الجيش المصري .

وتحققت أمنية عمري . وتخرجت ضابطا برتبة ملازم ثان في سنة ١٩٣٨ .

ذكرت هذا ، وانا أمسك اليوم بالقلم لاكتب عن شاه ايران . بالقلم هي مصادفة غريبة جمعت بيني وبينه . فقد ولدت ـ كما قلت ـ في سنة ١٩١٨ ، وهي نفس السنة التي ولد فيها الشاه . وتخرجت في الكلية الحربية في سنة ١٩٣٨ . وهي نفس السنة ـ ايضا ـ التي تخرج فيها الشاه ضابطا في الجيش الايراني بنفس الرتبة !

وليست هناك اية مقارنة بيني وبينه . فانا قادم من قرية مصرية اسمها ميت أبو الكوم .. وهو ابن امبراطور . وولي عهد امبراطورية فيحاء وعريقة . ولم تكن احلامي تتجاوز تخرجي في سلك العسكرية ، واخدم في الجيش المصري حتى نهاية خدمتي ، لاعود مرة اخرى الى الأرض الطيبة التي ارتبطت بها .

أما هو فقد كان ينتظره الكثير . فاحلامه لا نهاية لها . ووالده الامبراطور كان يعده ليتولى حكم اقدم امبراطوريات العالم من بعده . وكان الآب معروفا بالشدة ، والحزم . فاقام بتربية ابنه ، وأدخله الكلية الحربية ليتعلم فيها العسكرية شأن أي طالب آخر . وتخرج برتبة ملازم ثان .

في هذا الوقت ، وتبعا لتلك الظروف ، لم يكن يخطر على بالي مطلقا انني سأتعرف يوما على شاه ايران .

في نفس السنة التي تخرجت فيها ، سمعنا عن محاولة على ماهر لاقناع الملك فؤاد باقتباس النظام المعروف ، في العائلات المالكة ، بالزواج السياسي . أي بزواج المصلحة . فرشح للملك فؤاد وفي عهد ايران ليتزوج من الأميرة فوزية .

وكان من رأي على ماهر أن شاه ايران ، يرأس دولة اسلامية شيعية . والملك فؤاد يرأس دولة اسلامية سنية . فلماذا لا يجمع زواج الشاه من فوزية بين الدولتين ، ويوحد مصالحهما .. وينهي الخلافات بينهما .

وكانا نعلم كيف ظهر الشيعة ، بعد الصراع بين علي بن ابي طالب ، ومعاوية بن ابي سفيان . وكيف تشيع البعض لعلي ، ضد معاوية .

وكان القوس دولة ، وامبراطورية ، وحضارة ، وثقافة ، قبل ظهور الاسلام . وقبل اللغة العربية . وكانت تلك الحضارة الفارسية تمتد في كل مكان . واللغة الفارسية لا تزال تعرف في الشرق بلغة الحضارة . فالى يومنا هذا نجد في باكستان وفي الهند من يتحدث اللغة الفارسية ، باعتبارها لغة الحضارة ، ولغة الثقافة .

والفارسية ـ كما نعرف ـ هي اللغة الرسمية لايران . واللغة الرسمية لافغانستان . وقد تعلمت اللغة الفارسية ، بعد ان لاحظت انتشارها في عدد كبير من دول اسيا . وجئتها في باكستان ، والهند ، وافغانستان ، وغيرها . وتعلمتها بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، واثناء قيامي بمهام وظيفتي كسكرتير للمؤتمر الاسلامي . مما اضطرني الى كثرة السفر لزيارة الدول الاسلامية . والاجتماع بقادتها ، وزعمائها ، ورجال الدين فيها .

وقتها لاحظت ان الشيعة ـ وهم نصف المسلمين ـ يتحدثون الفارسية كلغة حضارة ، وثقافة . فهي اللغة الرسمية لدولتين ، ولغة الفلاشرز والثقافة في باقي الدول الاسلامية الاخرى .

وانكر زيارتي الاولى لافغانستان ، ومقابلتي مع الملك ظاهر شاه . وجدت ان لغته الاوروبية هي الفرنسية ، ولغته الاولى هي الفارسية . أما انا فلغتي الاولى العربية ولغتي الاوروبية هي الانجليزية . ولهذا السبب استحكم التفاهم بيننا بدون مترجم . وإنا أحب ان اتحدث بدون مترجم . ولهذا السبب بدأت في دراسة اللغة الفارسية في سنة ١٩٥٥ ، واحتاج هذا مني لاكثر من سنه ونصف السنة . واعتبرت تعلم اللغة الفارسية جزءا من مهمتي كسكرتير للمؤتمر الاسلامي ، يطوف حول الدول الاسلامية ، ويزور الشيعة الذين يتحدثون الفارسية ، ويحرصون على تعلمها ، والنهل من ثقافتها .

وتعود الى الزواج السياسي الذي كان يعده علي ماهر .

اقتنع الملك فؤاد بمنطق علي ماهر ، ووافق على ان يتزوج محمد رضا بهلوي من ابنته الأميرة فوزية . وبدأت ترتيبات الزواج بالفعل .

وهنا نتوقف لحظة ، لنلقي الى سنة ١٩٧١ ..

في ١١ اكتوبر سنة ١٩٧١ كنت في طريقي الى الاتحاد السوفيتي في زيارة رسمية ، بعد ان اذاقني السوفييت المرارة والاهوال طوال شهر الصيف .. عقابا لي لوقوفي مع جعفر نميري ضد الثورة الشيوعية التي اشتعلت في السودان في يوليو ١٩٧١ . ولم الف فقط مع نميري ، بل ورفضت طلب الاتحاد السوفيتي للاعتراف بالنظام الشيوعي في السودان . وكان رفضي قاطعا وواضحا للسفير السوفييتي ، فقلت له :

ـ انا لا نقبل ابدا ان يقوم نظام شيوعي عند حدودنا . كما ان الشيوعية لن تعيش ابدا في منطقتنا لسبب بسيط هو ان الاديان السماوية تجري في عروقنا مع دمائنا ، ولا يمكن فصلها او سحبها .

وانتهم مني الاتحاد السوفييتي بسبب هذا الموقف انتقاما ، غريبا . تجاهلوا سنة الحسم التي اعلنتها ، واعدت مصر للمعركة خلالها . وسد قادة السوفييت اذانهم حتى لا يستمعوا الى طلباتي ، واقتراحاتي . فارسلت مرارا وتكرارا اطلب مقابلتهم فيصلني الرد الذي لا يتغير :

« اسفون ! فقادة الكرملين جميعا يقيمون حاليا في القرم !»

وعندما الح في طلبي وأسألهم :« ومتى يعودون الى موسكو ؟ ! » يردون :« ليس قبل شهر اكتوبر ! وحتى هذا الحين لا يمكن مقابلتهم او التخاطب معهم ! »

وانتظرت طوال اشهر الصيف ، حتى شهر اكتوبر ، وسافرت الى موسكو . وفي هذا الوقت بالذات كان شاه ايران يحتفل بمرور ٢٥٠٠ سنة على قيام الامبراطورية . ووجه لي الشاه دعوة للاشتراك معه في هذا الاحتفال الكبير . والح الحاحا شديدا ، فقلت له :

ـ « انني لن استطيع الحضور . وسارسل نائب رئيس الجمهورية بدلا مني . كما سأتوقف في مطار طهران ، وانا في طريقي الى موسكو ، لمقابلتك »

وبالفعل اقلعت الطائرة من القاهرة الى الكويت ، حيث امضيت فيها ليلة . ثم غادرتها في صباح اليوم التالي الى طهران . حيث كان الشاه في استقبالي . وجلسنا في غرفة بالمطار وتحدثنا بعض الوقت .

ولم تكن هذه هي المرة الاولى التي التقيت فيها بالشاه . فسبق ان تقابلنا في مؤتمر القمة الاسلامي الذي عقد في صحيفة الرباط في سنة ١٩٦٩ بعد حريق المسجد الأقصى . وكنت أمثل مصر في هذا المؤتمر نيابة عن جمال عبدالناصر ، الذي كان قد أصيب وقتها بالأزمة القلبية ومنع من الحركة .

ولذلك فقد وجهت سؤالا الى شاه ايران فور بدء حديثنا في مطار طهران . سألته :

ـ « كم مرة التقينا فيها ؟ ! »

ودهش الشاه من السؤال ، وأجاب :

ـ « هذه هي المرة الثانية التي نلتقي فيها . والمرة الأولى كانت في الرباط » .

فقلت له :

ـ « لا . انها المرة الثالثة ! ولعلك نسيت المرة الأولى » .

فسألني في استغراب :

ـ « ومتى حدث ذلك ؟ »

فقلت :

ـ « في سنة ١٩٣٨ . في هذه السنة تخرجت برتبة الملازم ثان ، كما تخرجت انت ايضا وحملت نفس الرتبة . ثم جئت الى القاهرة ـ كولي عهد ايران ـ لعقد زواجك على ابنة الملك فؤاد . واقيم عرض عسكري بهذه المناسبة . وكنت انا في الكتيبة الرابعة بنادق مشاه . التي اشتركت في هذا العرض . واقيم العرض في صحراء العاشرة . وجلست انت مع الملك فاروق ، وكبار قادة الجيش المصري .. لاستعراض العرض العسكري الذي اشتركت فيه » .

وواصلت حديثي قائلا :

ـ « لقد كنت في المنصة المرتفعة قليلا ، وكنت انا اسير امامك في العرض . المسافة بيننا كانت بسيطة . ولكنها مسافة غير حقيقية . بل هي مسافة رهيبة . فانت ولي ، عهد امبراطورية هائلة ، وانا ضابط صغير قادم من قرية مصرية لم تسمع عنها من قبل » .

وضحكنا معا ..

ثم قلت للشاه :

ـ عندنا مثل عربي يقول ، صا محبة الا بعد عداوة » . ويبدو بالفعل ان المسافة التي تأثر بعد العداء تكون أقوى وأبقى . ولعلك تذكر ان اللقاء الثاني بيننا في مدينة الرباط ، شهد خناقة بينك وبيني أمام ملوك ورؤساء العالم الاسلامي الذين اشتركوا في هذا المؤتمر . وهكذا يصدق المثل العربي . فقد تخانقنا . ثم تصادقنا الآن .

وخاقني مع الشاه ، تستحق وقفة ..

ذهبت الى الرباط ـ عاصمة المغرب ـ رئيسا للوفد المصري الى مؤتمر القمة الاسلامي الذي عقد في اعقاب حريق المسجد الاقصى . حقيقة انني جئت نائبا عن جمال عبدالناصر ، الذي منعته ظروفه الصحية من الحضور ، الا ان الملك الحسن ـ ملك المغرب ـ اعد جميع الترتيبات لمعاملتي كرئيس دولة ، وليس كنائب رئيس . وكان عبدالناصر قد طلبني قبل سفري الى الرباط . وذهبت مقابلته في غرفة نومه . فقال لي :

ـ « والله يا انور انا عايزك تنتهز فرصة وجودك في المغرب، وتحاول تحل مشكلة الخلاف مع شاه ايران . واعتقد ان الملك حسين يمكن ان يساعدنا في هذا الموضوع . فهو صديقنا ، وصديق الشاه في نفس الوقت . وستجدهما في الرباط ، فحاول ان تصفي الموضوع حتى ننتهي ، كما انتهينا مع الملك فيصل .

وكان عبدالناصر قد تصالح مع الملك فيصل ، ودعاه الى القاهرة ، وجاء فيصل بالفعل الى القاهرة . ووضح ان الخلافات بين مصر والسعودية قد انتهت . وان كان الملك فيصل استمر في تحفظه . ولكن هذا التحفظ كان يتلاشى شيئا فشيئا .

أما بالنسبة للخلاف مع شاه ايران ، فقد كان خلافا عميقا جدا ، لدرجة العداء الشخصي بين عبدالناصر والشاه . فعبدالناصر كان يهاجم الشاه هجوما عنيفا ، ليس لشخصه ، وانما كرمز للولايات المتحدة الأمريكية . وكان الشاه ـ كما قال بعد ذلك ـ يصاب بحالة من الحساسية والنرفزة في كل مرة يسمع فيها اسم عبدالناصر .

وعندما طلب مني عبدالناصر ان اصفي هذه الخلافات مع الشاه ، وافقت على طلبه ، وتحمست له .

وسافرت الى الرباط ..

وفي نفس يوم وصولي ، اتصل بي أمير الكويت صباح السالم . وكان صديقا شخصيا لي ، وقال لي انه سيحضر لمقابلتي . فقلت له ابدا .. انا الذي سأحضر اليك . واصر على حضوره ، ثم وافق على استقبالي في مقر اقامته بالحاح شديد مني .

وكنا ـ رؤساء الوفود ـ نقيم في فيلات صغيرة ، ومتقاربة الواحدة من الاخرى ..

وذهبت الى أمير الكويت ، وتحادثنا . فلاحظت على الفور انه يتحدث معي بحذر شديد . وعلى ذلك فهمت بسرعة ان أمير الكويت تصور ان الوفد المصري جاء الى الرباط لا لشيء إلا لافشال المؤتمر .

ولم يكن أمير الكويت وحده الذي تصور هذا . فقد علمت من الملك الحسن ـ فيما بعد ـ ان بعض الرؤساء والملوك ذهبوا الى الملك فيصل وقالوا له انهم يخشون ان يفشل المؤتمر بسبب الوفد المصري . فقال لهم الملك فيصل : « لا تخشوا شيئا . فانور هو رئيس الوفد ، وهو صديقي ، واعرفه جيدا ، وليس هو بالشخص الذي يفعل هذا » .

وبينو ان أمير الكويت لم يقتنع تماما بما قاله الملك فيصل . ولذلك كانت اسئلته لي غير واضحة ، مما جعلني اسأله :

ـ « انت بتلف وتدور على ايه ؟ ! »

وضحكنا ..

وعدت أزكد له :

ـ « ليس صحيحا انني جئت لابوظ المؤتمر . لقد جئنا جميعا كرؤساء لنجتمع ونبحث الموقف بعد حريق المسجد الاقصى . ولابد ـ والحال هكذا ـ ان ينجح هذا المؤتمر باي شكل . فاطمئن »

وبالفعل اطمأن أمير الكويت ، وذهب الى الملك الحسن ونقل اليه كلامي . ويبدو ان الملك الحسن لم يطمئن بدوره . فقد وصلتني دعوة منه في نفس اليوم لتناول العشاء معه .

وأسماء المائدة ، ابتدا الملك الحسن ففتح الموضوع . فاعبت عليه ما قلته لأمير الكويت . وكيف انني جئت لانهاء سن اجل انجاح المؤتمر . وليس ابدا من أجل افشاله .

وسعد الملك الحسن جدا بما قلته له ..

وذهب الملك الحسن بعد ان انتهى العشاء ، لمقابلة الملك فيصل . وكان فيصل هو الذي يتولى امر المؤتمر ، في الواقع . وكان الحسن يجلس معه كل ليلة لوضع الترتيبات الخاصة بالمؤتمر .

ونقل الحسن لفيصل ما قلته ، وما اكتفه له .

وكان تعليق الملك فيصل هو :

ـ « الم اقل لكم من قبل اننى اعرف انور تمام المعرفة ؟ فهو ليس بالشخص الذي يعمل على افشال المؤتمر »

أما انا فقد إتصلت تليفونيا بالملك حسين ـ ملك الاردن ورئيس وفدها ـ وقلت له :

ـ « يا اخ حسين ، اريد ان اقف واتحدث معك »

فقال لي :

ـ « تفضل بالحضور يا اخ انور » .

وذهبت الى الملك حسين في مقر اقامته . وقلت له :

ـ « انني احمل لك رسالة من جمال عبدالناصر . انتظ تريد ان نصفي الخلافات مع شاه ايران . وجمال يعلم مدى علاقتك وصداقتك بشاه ايران . فهل تستطيع ان تجمعني بالشاه عندك هنا ، لتصفية الموقف .

ورحب الملك حسين بالعرض ترحيبا كبيرا ..

ووعدني بانه سيرتب لقائي بشاه ايران .. وتركته وعدت الى مقر اقامتي . لارتاح استعدادا لبدء المؤتمر في صباح اليوم التالي .

وبالفعل ذهبنا جميعا الى قاعة المؤتمر في فندق هيلتون بالرباط . وكان الوفد المصري الذي ارأسه ، يضم لبيب شقير ، رئيس مجلس الشعب وقتذاك ، والذي اختارته مراكش القوى ليذهب معي ويكون جالسوها على قفة حزنت

مراكز القوى لان عبدالناصر اختارني انا لانوب عنه في مؤتمر القمة الاسلامي ، في الوقت الذي تصورت فيه تلك المراكز ان على صبري هو النائب الأول لعبدالناصر وخليفته . وخابت امالهم عندما اختارني عبدالناصر للسفر الى الرباط ، فما كان منهم الا انهم طلبوا من جمال ان يرسل لبيب شقير معي ، فوافق جمال ، ولم اعترض انا على سفر لبيب شقير .. على اساس ان وجوده معي ان يقدم ولن يؤخر .

وبدأ المؤتمر بمشكلة لم تكن في الحسبان ..

وهذا هو موضوع الحلقة القادمة بإذن الله .

انور السادات